

الصَّحْبَةُ

عناصر الموضوع

٣٢٤	مفهوم الصَّحْبَةُ
٣٢٥	الصَّحْبَةُ في الاستعمال القرآني
٣٢٦	الألفاظ ذات الصلة
٣٢٩	أنواع الصَّحْبَةُ في القرآن
٣٣٧	أسباب الصَّحْبَةُ
٣٣٩	حقوق الصَّحْبَةُ
٣٤٢	آثار الصَّحْبَةُ في الدنيا
٣٤٨	عاقبة الصَّحْبَةُ في الآخرة

مفهوم الصحبة

أولاً: المعنى اللغوي:

الصاد والحاء والباء أصلٌ واحدٌ يدل على مقارنة شيءٍ ومقاربتة، ومن ذلك الصاحب^(١)، ويجمع بالصحب، والصحبان والصحبة والصحاب، والأصحاب: جماعة الصحب^(٢)، ومن الباب: أصحب فلانٌ إذا انتقاد، وأصحب الرجل إذا بلغ ابنه مبلغ الرجال، فصار مثله، فكأنه صاحبه، واستصحب الرجل: دعاه إلى الصحبة، ولازمه، وكل ما لازم شيئاً فقد استصحبه^(٣)، لذلك يطلق مجازاً على من اعتنق مذهباً أو رأياً فيقال: أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشافعي^(٤)، والصحبة - بالضم -: المعاشرة، صحبه صحبة وصحابة وصحابة، وصاحبه: عاشره، والصاحب: المعاشر^(٥)، وكذا: المرافق، ومالك الشيء، والقائم على الشيء، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]^(٦).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي لا يختلف كثيراً عن المعنى اللغوي، فقد قال الراغب: «الصاحب: الملازم، إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمة، ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته»^(٧). وعرفها ابن عاشور بأنها: «الملازمة في أحوال التجمع والانفراد للمؤانسة والموافقة، ومنه قيل للزوج: صاحبة، وللمسافر مع غيره صاحب، وقد يتوسعون في إطلاقه على المخالط في أحوال كثيرة، ولو في الشر»^(٨).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ٣٣٥.

(٢) العين، الفراهيدي ٣/ ١٢٤.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ٣٣٥، لسان العرب، ابن منظور ١/ ٥٢٠.

(٤) انظر: المصباح المنير، الفيومي ١/ ٣٣٣، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/ ٥٠٧.

(٥) انظر: المخصص، ابن سيده ٣/ ٤٢٩، لسان العرب، ابن منظور ١/ ٥١٩.

(٦) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/ ٥٠٧.

(٧) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤٧٥.

(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/ ١٥٧.

الصحة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (صحب) في القرآن الكريم (١٠٦) مرات^(١).
والصيح التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	٢	﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِحِّني﴾ [الكهف: ٧٦]
فعل الأمر	١	﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]
اسم الفاعل	١٠٣	﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنِّبِ﴾ [النساء: ٣٦]

وجاءت الصحة في القرآن الكريم بمعناها اللغوية الدال على الملازمة^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٣٨٧.
(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٣٠٣-٣٠٤، نزهة الأعين النظائر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص ٣٩٢-٣٩٣، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، (٣/ ٣٨٦-٣٨٧)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، (٢/ ٣٢٠-٣٢١).

الألفاظ ذات الصلة

١ الرفقة:

الرفقة لغة:

الرفقة: الصحبة في السفر أو غيره، يقال: رافق الرجل صاحبه، ورفيقك: الذي يرافقك، وقيل: هو صاحب رفيقاً؛ لارتفاقك به وبصحته، ويقال للجماعة في السفر: رفقة؛ لارتفاق بعضهم ببعض^(٢).

الرفقة اصطلاحاً:

لا يختلف معنى الرفقة اصطلاحاً عن معناها اللغوي، والرفقة تقال للقوم ما داموا منضمين في مجلس واحد ومسير واحد، فإذا تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة، ولم يذهب عنهم اسم الرفيق^(٣).

الصلة بين الرفقة والصحبة:

الرفقة أخص من الصحبة، والصحبة أعم، ففي لفظ (الرفيق) معنى الرفق والرحمة، بخلاف الصحبة؛ فقد يوجد الرفق فيها، وقد يوجد العذاب كما هو مع أصحاب النار.

٢ الصداقة:

الصداقة لغة:

الصداقة: مصدر الصديق، وهو مشتق من صدق المودة والنصيحة، والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء وأصادق^(٤).

والصديق: صاحب الصادق في المودة^(٥)، وإنما سمي الصديق صديقاً لصدقه^(٦).

الصداقة اصطلاحاً:

لا يختلف معناها الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، ولذا عرفها المناوي بأنها: «صدق

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢٠/١٠.

(٢) الوسيط، الواحدي ٧٨/٢.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢٠/١٠.

(٤) انظر: المصدر السابق ١٩٤/١٠.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠٢/١٨.

(٦) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ١٦١.

الاعتقاد في المودة، وذلك يختص بالإنسان دون غيره»^(١).

الصلة بين الصداقة والصحة:

الصداقة أخص من الصحة، فهي تختص بالإنسان دون غيره، فكل صديق صاحب، وليس كل صاحب صديقاً.

٣ الأخوة:

الأخوة لغة:

الأخ: «المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما أو من الرضاع. ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة، أو في الدين، أو في صناعة، أو في معاملة أو في مودة، وفي غير ذلك من المناسبات»^(٢).

وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء، والإخوة في الولادة^(٣).

الأخوة اصطلاحاً:

لا يختلف معناها الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، الذي يشمل أخوة النسب والصداقة والمشاركة في قبيلة أو دين أو صناعة وغير ذلك.

الصلة بين الأخوة والصحة:

كل واحد منهما أخص من الآخر من جهة وأعم من جهة أخرى، فهناك أخ ليس بصاحب، وهناك صاحب ليس بأخ، وإذا قابلت بينهما فالأخ أعلى^(٤).

٤ القرين:

القرين لغة:

القرين: المقارن والمصاحب، والزوج، والبعير المقرون بآخر، والأسير، والجمع: قرناء^(٥)، والقرين يكون في الخير والشر، وكل إنسان معه قرين، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه^(٦).

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ٢١٣.

(٢) المفردات ص ٦٨.

(٣) الصحاح، الجوهري ٦/ ٢٢٦٤.

(٤) انظر: معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد ص ٥٦.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٧٣١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجوزي ٤/ ٥٤.

القرين اصطلاحًا:

لا يختلف معناه الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

الصلة بين القرين والصحة:

الصحة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر غالبًا، ولهذا يستعمل في الآدميين خاصة، فيقال: (صحب زيد عمرًا)، و(صحبه عمرو)، ولا يقال: (صحب النجم النجم)، أو (الكون الكون) والمقارنة: تفيد قيام أحد القرينين مع الآخر، ويجري على طريقته وإن لم ينفعه، ومن ثم قيل: (قران النجوم)، وقيل للبعيرين يشد أحدهما إلى الآخر بحبل: (قرينان) ^(١).

٥ العشرة:

العشرة لغة:

العشرة: اسم من المعاشرة وهي المخالطة ^(٢)، والعشير: الصاحب والزوج ^(٣)، والعرب تسمى الزوج: عشيرًا؛ لأجل المخالطة ^(٤)، والعشيرة: أهل الرجل الذين يتكثر بهم ^(٥).

الرفقة اصطلاحًا:

لا يختلف معنى العشرة اصطلاحًا عن معناها اللغوي.

الصلة بين العشرة والصحة:

العشرة ترادف مفهوم الصحة، فكلاهما يدل على المعاشرة والمخالطة، إلا إن العشرة تعتبر من معاني الصحة، فلفظ الصحة إذن أعم من لفظ العشرة، فكل صحة عشرة، وليس كل عشرة صحة.

(١) الفروق اللغوية، العسكري ص ٣٠٨.

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري ٧٤٧/٢، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ٢٤٢.

(٣) مجمل اللغة، ابن فارس ص ٦٧٠.

(٤) تفسير القرآن، السمعاني ٤٢٦/٣.

(٥) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٥٦٧.

أنواع الصحة في القرآن

حث الله تعالى في محكم التنزيل على ملازمة أهل الصلاح والإيمان، ونهى عن ملازمة أهل الغفلة والضلال، حيث قال جل وعلا: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَثَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ۚ﴾ [الكهف: ٢٨].

وفي هذا المبحث سوف نذكر نوعين من الصحة في كتاب الله عز وجل.

أولاً: الصحة الصالحة:

أشار القرآن الكريم لهذا النوع من الصحة، وسوف نذكر منها ما يأتي:

١. صحة موسى عليه السلام للخضر.

ذكر الله تعالى رحلة موسى عليه السلام وملازمته للخضر في محكم التنزيل، ولم يذكر أسباب تلك الرحلة، إلا أن السنة النبوية أوضحت أن سبب الرحلة كان عتاب الله سبحانه وتعالى لثبته موسى عليه السلام عندما سئل هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عبادي بمجمع

البحرين هو أعلم منك الخ^(١).

والتقى موسى عليه السلام بالخضر في ذلك المكان بعد رحلة طويلة وشاقة، فكان ما قص الله من نبأهما في محكم التنزيل.

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ۖ﴾ [الكهف: ٦٥-٦٦].

إلى قوله جل وعلا: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وسوف نذكر بعضاً من الفوائد والعبر من صحة موسى عليه السلام للخضر، منها:

✳ أن ما فعله موسى عليه السلام، وهو من جلة الأنبياء من طلب العلم، والرحلة في ذلك، ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه^(٢).

✳ كان سؤال موسى عليه السلام للخضر في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا ۖ﴾ [الكهف: ٦٦].

✳ سؤال الملائكة، والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، رقم ١٢٢.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ٣/ ٣٠١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

وهذا بلا ريب تعليم لأداب الصحبة أنها تكون باتفاق النفوس، وتلاقي القلوب، والاستفهام لبيان إرادة الإتيان في أبلغ أدب^(١).

✽ أن العلم الذي يعلمه الله للعبد نوعان: علم مكتسب، يدركه العبد بطلبه وجده، وعلم إلهي لدني، يهبه الله لمن يمتن عليه من عبادته، لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. فالخضر أعطي من هذا النوع الحظ الأوفر^(٢).

✽ في قوله تعالى على لسان الخضر لموسى عليه السلام: ﴿سَأُنَبِّتُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]. قالوا: إن هذا من أدب الصحبة^(٣)، فلا ينبغي للعبد أن يفارق صاحبه في حال من الأحوال ويترك صحبته، بل يفي له بذلك حتى لا يجد للصبر محلاً، وأن موافقة الصاحب لصاحبه في غير الأمور المحذورة مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكدها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة^(٤).

٢. صحبة أهل الكهف.

وهم مجموعة من الشباب، لجؤوا إلى

١٧/١١

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة ٩/ ٤٥٥٩.

(٢) تيسير اللطيف المنان، السعدي ص ٢٥٦.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٩٦٦.

(٤) انظر: تيسير اللطيف المنان، السعدي ص ٢٥٩.

غار في الجبل، فراراً بدينهم من أقوامهم، الذين كانوا يعبدون الأصنام، وحدث لهم بهذا الغار الأعاجيب، وقد ذكر الله قصتهم باختصار في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ١٠. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١١. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١٢. ثُمَّ بَشَّرْنَاهُمْ بِإِعْزَازِ الْخَزِينِ ١٣. أَخَصَّنَا لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ١٤﴾ [الكهف: ٩-١٢].

ثم بدأ بتفصيلها بعد هذا الإجمال في أربع عشرة آية بعد ذلك.

قال السعدي عنهم: «هم فتية وفقهم الله، وألهمهم الإيمان، وعرفوا ربهم، وأنكروا ما عليه قومهم، من عبادة الأوثان، وقاموا بين أظهرهم معلنين فيما بينهم عقيدتهم، خائفين من سطوة قومهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

فلما اتفقوا على هذا الأمر، وعرفوا أنهم لا يمكنهم إظهار ذلك لقومهم سألوا الله أن يسهل أمرهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

فأووا إلى غار يسره الله غاية التيسير، واسع الفجوة فناموا في كهفهم بحفظ الله ورعايته ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعة^(٥).

(٥) المصدر السابق ص ٢٨٧.

ذَرَاتِهِ بِالْوَصِيدِ ﴿الكهف: ١٨﴾. قال

ابن كثير: «وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن»^(٤)، وهذا الذكر والشأن قد خلص إلى كلب لازم أهل الفضل، فما بال من لازمهم واقتدى بصلاحهم؟!^(٥).

٣. صحبة أبي بكر الصديق لبنينا محمد صلى الله عليه وسلم.

صحب أبو بكر الصديق رضي الله عنه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منذ إسلامه إلى وفاته، ولم يفارقه أبداً، وشارك معه في غزواته، ويذل نفسه وماله في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وهاجر مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يتركه أبداً طيلة حياته، ونال بذلك شرف الصحبة معه في الغار، حيث قال جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ

إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال السعدي: «وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد

فهؤلاء فتية ضحوا في سبيل عقيدتهم وفروا بدينهم من سعة الحياة إلى ضيق الكهف؛ ليكونوا مثلاً لكل أهل عقيدة، ودليلاً على أن الله تعالى ينصر أهله ويدافع عنهم ويخلد ذكراهم إلى قيام الساعة»^(١).

وقد ذكر السعدي فوائد وعبر من هذه القصة منها:

❖ أن من أوى إلى الله أواه الله، ولطف به، وجعله سبباً لهداية الضالين؛ فإن الله لطف بهم في هذه النومة الطويلة إبقاء على إيمانهم وأبدانهم من فتنة قومهم وقتلهم، وجعل هذه النومة من آياته التي يستدل بها على كمال قدرة الله، وتنوع إحسانه، وليعلم العباد أن وعد الله حق.

❖ الحث والتحرز والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان الذي يدرأ عن الإنسان الشر^(٢).

❖ أن الملازم لأهل الفضل لا بد أن يناله شيء من ذكر جميل وشأن عظيم^(٣)، فقد نال كلبهم ذلك الذكر والشأن في صحبتهم، قال تعالى: ﴿وَكَلَبُهُمْ بِسِطْرٍ

(١) انظر: تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٨٦٥.

(٢) تفسير اللطيف المنان، السعدي ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) انظر: غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص ٢٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ١٤٤.

(٥) انظر: غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص ٢٥.

أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم كافرين، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبد - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة^(١).

٤. صحبة يوسف عليه السلام للفتيين في السجن.

دخل يوسف عليه السلام السجن، وكان في جملة من دخل معه فتیان، فلما رأيا من فضله وإحسانه في السجن طلبا منه تأويل رؤياهما.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

قال أبو حيان: «ومع تدل على الصحبة واستحداثها، فدل على أنهم سجنوا الثلاثة في ساعة واحدة، ولما دخل يوسف السجن استمال الناس بحسن حديثه وفضله ونبله، وكان يسلي حزينهم، ويعود مريضهم، ويسأل لفقيرهم، ويندبهم إلى الخير، فأحبه

الفتيان ولزمناه»^(٢).

وتوسما من يوسف عليه السلام كمال العقل والفهم فظننا أنه يحسن تعبير الرؤيا، ولذلك قالوا: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). فانتهاز الفرصة ودعاها إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك ما سواه من عبادة الأصنام قبل تأويل رؤياهما، وهذه طبيعة المؤمن أن يكون حريصاً على دعوة وهداية الآخرين إلى الخير والصالح، وقدم قبل الدعوة ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلها على صدقه في الدعوة والتعبير.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا إِنَّمَا عَلَّمَنِ رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧]^(٤).

فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتمخض فيه النصيحة؛ ليقبلا عليه ويقبلا مقالته، وقد ضرب لهما مثلاً يتضح به الحق عندهما حق اتضاح.

قال تعالى: ﴿يَصْصَحِي السِّجْنَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٥) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَلْبُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(٢) البحر المحيط، أبو حيان ٦/ ٢٧٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٢/ ٢٦٩.

(٤) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٣/ ١٦٣.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٣٨.

٥. صحبة الأخيار المداومين على عبادة الله تعالى.

حث الله تعالى على ملازمة الأخيار من عباده، المداومين على ذكره، حيث قال جل وعلا: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْوَسْطِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

يقول السعدي في تفسير هذه الآية: «يأمر تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْوَسْطِ﴾ أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى»^(٥).

والتعبير عنهم بالموصول للإيماء إلى تعليل الأمر بملازمتهم، أي لأنهم أحرى بذلك؛ لأجل إقبالهم على الله فهم الأجدر بالمقارنة والمصاحبة^(٦).

فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل، واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره

﴿٤٠﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]^(١).

فأورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله: ﴿أَرْيَا﴾ فأبرز ذلك في صورة الاستفهام حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير استفهام، وهكذا الوجه في محاجة الجاهل أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها، فإذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها، ثم كذلك إلى أن يصل إلى الإذعان بالحق^(٢).

فيوسف عليه السلام دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا، فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزاالا على شركهما، فقامت عليهما -بذلك- الحجة، ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهم إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما^(٣)، وجعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام، لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه، والإنصات إليه^(٤).

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٢٧٨/٦،

إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٧٨/٤.

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٢٧٨/٦.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٩٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩٠/٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٧٥.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠٥/١٥.

فليستمسك بغرزه^(١).

٦. صحبة الوالدين.

أعظم صحبة للإنسان هي صحبة الوالدين، وهي صحبة صالحة يرضي بها الإنسان ربه، ويسعد بها في دنياه، ويرجو بها حسن الثواب في الآخرة، وقد أمر الله تعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما، وقرن طاعته بطاعتهما بعده مباشرة.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومفهوم الإحسان إلى الوالدين كما ذكر القرطبي: «معاشرتهما بالمعروف، والتواضع لهما، وامثال أمرهما، والدعاء بالمغفرة بعد مμάτωνهما، وصلة أهل ودهما^(٢)، وبرهما وحفظهما وصيانتهم، وإزالة الرق عنهما، وترك السلطنة عليهما»^(٣).

والأمر بالإحسان يتضمن النهي عن الإساءة، إذ هو نهى عن الإساءة، وأمر بفضل العاطفة والمواساة والقرب، وإحسان الصحبة^(٤).

وفي الآية دليل واضح على عظم صحبة الوالدين بالإحسان إليهما، فقد أتى بعد حق الله جل وعلا الذي هو من أعلى

الحقوق وأعظمها، قال ابن كثير: «وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله تعالى، أن يعبد وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين، وأكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين، ولهذا يقرن الله تعالى بين حقه وحق الوالدين، كما قال تعالى: ﴿إِن شَكَرْ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾

[لقمان: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]^(٥).

ومما يدل كذلك على عظم صحبة الوالدين، وأنها من أكد حقوق المخلوقين، ما جاء في الحديث الصحيح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك) قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك) قال: ثم من؟ قال: (ثم أبوك)^(٦).

بل إن الله تعالى أمر بصحبتهما وإن كانا كافرين، ولكن بما يرضيه الشرع.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٣١٦.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم ٥٩٧١.

(١) الوابل الصيب، ابن القيم ص ٤١ بتصرف واختصار.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢/١٣.

(٣) المصدر السابق ٧/١٣٢.

(٤) زهرة التفاسير، أبو زهرة ٥/٢٧٢٩.

قال طرفة بن العبد^(٥):

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

وفي معنى الآية يقول الخازن: «من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس صاحب وبئس الخليل الشيطان، وإنما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان»^(٦).

فهو الذي حملهم على صنعهم القبيح، وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها، بأن سول لهم وأملى لهم، وقارنهم فحسن لهم القبائح^(٧).

وفي الآية إيماء إلى تأثير قرناء المرء في سيرته، وأن الواجب اختيار القرين الصالح على قرين السوء^(٨).

٢. صحبة أهل الدنيا المنهمكون في ملذاتها الغافلون عن ذكره جل وعلا.

أمر الله تعالى رسوله الكريم بملازمة المؤمنين الصادقين، وحذر من الانصراف عنهم إلى صحبة أهل الدنيا المنشغلون بها الغافلون عن ذكره، ونهاه عن طاعتهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٩)

(٥) انظر: ديوان طرفة بن العبد ص ٣٢.

(٦) لباب التأويل، الخازن ١/ ٣٧٥.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٣٠٣.

(٨) تفسير المراغي ٥/ ٤٠.

قال المراغي: «أي وصاحبهما في أمور الدنيا صحبة يرتضيها الدين، ويقتضيها الكرم والمروءة، بإطعامهما وكسوتهما، وعدم جفائهما وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما في القبر إذا ماتا»^(١).

وذكر ﴿فِي الدُّنْيَا﴾؛ لتهوين أمر الصحبة، والإشارة إلى أنها في أيام قلائل وشيكة الانقضاء فلا يضر تحمل مشقتها؛ لقلّة أيامها وسرعة انصرامها^(٢).

وفي الآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول، والدعاء إلى الإسلام برفق^(٣).

ثانياً: الصحبة السيئة:

وقد أشار القرآن الكريم إلى نماذج، منها:

١. صحبة الشيطان.

ذم الله تعالى صحبة الشيطان باتباع خطواته ووسواسه وتزيينه للشر، حيث قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهْمَ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

والقرين: المقارن، أي صاحب والخليل، وهو فعيل من الإقران^(٤).

(١) تفسير المراغي ٢١/ ٨٣.

(٢) روح المعاني، الألويسي ١١/ ٨٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤/ ٦٥.

(٤) المصدر السابق ٥/ ١٩٤.

[الكهف: ٢٨].

الذكر سبب للإعراض عنهم، وإيثار الدنيا سبب التولي عن الذكر، وذلك إشارة إلى تعلقهم بالدنيا وتحصيلها^(٤).

وفي الآية تحذير من مخالطة الغافلين والصحبة لهم، فإن صحبتهم سم قاتل، والجلوس معهم تضييع وبطالة، إلا أن يستولي نور من يصحبهم على ظلمتهم، فيجرهم إلى الله، فهذا جلوسه معهم كمال^(٥).

قال الخازن في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ أي: لا تصرف ولا تجاوز ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ إلى غيرهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: تطلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا ﴿وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: في طلب الشهوات ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ضياعاً ضيع أمره وعطل أيامه^(١).

والآية الكريمة تسوق للناس توجيهاً حكيماً في بيان القيم الحقيقية للناس، وهي أنها تتمثل في الإيمان والتقوى، لا في الغنى والجاه^(٢)، وأن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وزخرف الحياة من اللباس والطعام^(٣).

وقد أمر الله تعالى في موضع آخر بالإعراض عن المتولي عن ذكره، القاصر نظره على الحياة الدنيا، حيث قال جل وعلا: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

قال أبو حيان في هذه الآية: «فأمر صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن من هذه حاله، ثم ذكر سبب التولي عن الذكر، وهو حصر إرادته في الحياة الدنيا؛ فالتولي عن

(١) لباب التأويل، الخازن ٣/ ١٦٣.

(٢) التفسير الوسيط، طنطاوي ٨/ ٥٠٩.

(٣) انظر: تفسير المراغي ١٥/ ١٤٣.

(٤) البحر المحيط، أبو حيان ١٠/ ١٩.

(٥) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٥/ ٥٠٩.

مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾

[يوسف: ٣٩].

«وعبر عنهما بوصف الصحة في السجن دون اسميهما إما لجهل اسميهما عنده إذ كانا قد دخلا السجن معه في تلك الساعة قبل أن تطول المعاشرة بينهما وبينه، وإما للإيدان بما حدث من الصلة بينهما وهي صلة المماثلة في الضراء الإلف في الوحشة، فإن الموافقة في الأحوال صلة تقوم مقام صلة القرابة أو تفوقها»^(٣).

ثانيًا: ما كان عن قصد واختيار:

وهي أسباب مكتسبة بقصد ونية بسبب الرغبة والحاجة^(٤)، كصحة موسى عليه السلام للعبد الصالح ورغبته في التزود من العلم الذي وهبه الله إياه، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُغْلِبَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

قال الشعراوي: «ورغم أن موسى رسول من عند الله إلا أنه لم يتأب على أن عبدًا من عباد الله تقرب إلى الله فاتبعه موسى ليقول له: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُغْلِبَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾، وفي هذا تأكيد على رغبة موسى أن يستزيد بالعلم ممن أعطاه الله العلم، وجاء

أسباب الصحة

إن الإنسان اجتماعي بطبعه، ميل إلى الاجتماع بالناس والاستئناس بهم، فعندما يتخذ صاحبًا له لا بد أن يكون هناك رابط بينهما هو الذي أدى إلى اجتماعهما وصحبتهما، فالإنسان إنما يجالس ويخالط من هو في جنسه الذي يتفق مع ميوله وأفكاره، فإذا ما حصل الاتفاق لا بد أن يؤثر أحد في الآخر، فالمخالطة والصحة إذا لا تخلو من رابط، وهو ما يسمى بالسبب أو الدافع الذي أدى إلى تلك الصحة، فلو لم يكن هناك سبب أو دافع بينهما، لما استأنس كل منهما بصاحبه.

وسوف نذكر في هذا المبحث أسباب الصحة، وهي على وجهين^(١):

أولًا: ما كان اضطراريًا:

وهي أسباب مكتسبة من غير قصد واختيار بسبب المماثلة والاتفاق بين الصاحبين في أمور شتى^(٢)، كصحة يوسف عليه السلام للفتيين في السجن، فقد كانت من غير قصد واختيار، وسببها المماثلة أو الموافقة في الأحوال، قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿يَصْنَعُ الْجَنَانُ الْكُنُوزَ﴾

(١) انظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ١٦١.

(٢) انظر: غاية المنوة في آداب الصحة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص ٣١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٢/ ٢٧٤.

(٤) انظر: غاية المنوة في آداب الصحة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص ٣٢.

القرآن بهذه القصة ليعلمنا أدب التعلم»^(١).
وكحاجته كذلك لأخيه هارون عليه
السلام في صحبته لتبليغ دينه جل وعلا،
قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤].

قال ابن كثير: «أي: وزيراً ومعيناً ومقوياً
لأمري، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله
عز وجل؛ لأن خبر اثنين أنجع في النفوس
من خبر واحد؛ ولهذا قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ﴾»^(٢).

فوهب الله تعالى لموسى أخاه هارون
عليهما السلام رحمةً بموسى؛ لأن هارون
كان معيناً لأخيه ومسانداً له في مسألة
الدعوة، وهذه لم تحدث مع نبي آخر أن
يجعل الله له معيناً في حمل هذه المهمة^(٣).
قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ
نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣].

ولهذا قال بعض السلف: ليس أحد أعظم
منة على أخيه، من موسى على هارون،
عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله
نبياً ورسولاً معه إلى فرعون وملئه، ولهذا
قال تعالى في حق موسى عليه السلام:
﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]^(٤).

وفي سؤاله من ربه يقول القرطبي في
قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ
لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [الشعراء: ١٣].
«وكان موسى أذن له في هذا السؤال، ولم
يكن ذلك استعفاء من الرسالة، بل طلب من
يعينه، ففي هذا دليل على أن من لا يستقل
بأمر، ويخاف من نفسه تقصيراً، أن يأخذ من
يستعين به عليه، ولا يلحقه في ذلك لوم»^(٥).

(١) تفسير الشعراوي ٧/ ٤٤٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٣٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي ١٥/ ٩١٢١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ٩٢.

إلى جنبك»^(١).

وأما السعدي فيقول في تفسير هذه الآية: «وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ» قيل: الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل: صاحب مطلقاً، ولعله أولى، فإنه يشمل صاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة»^(٢).

ومن الإحسان إلى صاحب الذي يكون بجنبك، ألا تؤذيه بمنظر كربه أو ريح كريهة، وأن تحافظ على الحياء في مجلسك، فلا تجعل نعلك يحف بثيابه أو بحيث يؤذيه، وأن تعاونه إن كان محتاجاً إلى معاونتك.

ثانياً: النصح والإرشاد:

فمن حقوق الصحبة نصح الصديق لصديقه بإرشاده للحق، كما فعل يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن حين دعاهما إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك ما سواه من عبادة الأصنام.

قال تعالى: ﴿يُصَدِّقُ السَّجِينَ أَرْيَابَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

[يوسف: ٣٩-٤٠].

فناداهما باسم الصحبة في المكان

(١) غرائب القرآن، النيسابوري ٢/ ٤١٢.

(٢) تفسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٧٨.

حقوق الصحبة

اعلم أن لقوام الصحبة حقوقاً، فيقدر تأديتها أو الإخلال بها تدوم تلك الصحبة أو تنخرم، فعلى المؤمن أن يحفظ لصاحبه حق صحبته وحسن عشرته، فلا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له، وسوف يكون حديثنا في هذا المبحث عن حقوق الصحبة، ومن تلك الحقوق ما يأتي:

أولاً: الإحسان للصاحب:

أمر الله جل وعلا بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب، ومن تلك الحقوق حق صاحب وذلك بالإحسان إليه.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء: ٣٦].

قال النيسابوري: «وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ» وهو الذي حصل بجنبك إما رفيقاً في سفر، وإما جاراً ملاصقاً، وإما شريكاً في تعلم أو حرفة، وإما قاعداً إلى جنبك في مجلس، أو في مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة اتفقت بينك وبينه، فعليك أن تراعي ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان، وقيل: صاحب بالجنب المرأة؛ فإنها تكون معك وتضطجع

الشاق الذي تخلص فيه المودة وتتمخض فيه النصيحة؛ ليقبلا عليه ويقبلا مقالته، وقد ضرب لهما مثلاً يتضح به الحق عندهما حق اتضاح، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَصْصِي السَّجْنَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾، وقد تحدثنا عن ذلك في صحبة يوسف عليه السلام للفتيين في السجن ونكتفي بما ذكرناه^(١).

وأما في وصفه للأصنام (بالتفرق)، ووصف الله تعالى بـ(الوحدة) و(القهر) تلطف حسن، وأخذ ييسر الحجة قبل كثيرها الذي ربما نفرت منه طباع الجاهل وعاندته^(٢).

ثالثاً: الإعانة بالنفس والمال في قضاء الحاجات:

فمن حقوق الصحبة بذل المال والنفس للمصاحب عند حاجته وافتقاره، كما بذل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم نفسه وماله في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وقد ذكرنا ذلك في صحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ووقوفه معه في أصعب المواقف والشدائد^(٣).

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة ١٦٧٧/٣ - ١٦٧٨.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٢٤٥/٣.

(٣) انظر: غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص ٨٤.

ومنها ملاحقة الكفار لهم وهم في الغار، حيث أخبر الله جل وعلا عن ذلك الموقف ونصرتهم لهم بقول تعالى: ﴿لَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

فقال بذلك شرف الصحبة وهو معه في الغار، بقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

قال الخازن: «وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق، ومنها أن الله سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ﴾.

ومنها: أن الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره، ومنها إنزال السكينة على أبي بكر واختصاصه بها دليل على فضله، والله أعلم^(٤).

وفي الآية كما ذكر بعض المفسرين عتاب من الله عز وجل لأهل الأرض جميعاً غير

(٤) لباب التأويل، الخازن ٣٦٥/٢.

رابعاً: العفو عن زلات وهفوات
الصاحب:

وأما العفو عن الزلات؛ فذلك بأن يقبل
عثرات أخيه، ويعفو عن زلاته، وأن يلتمس
له أعذاراً، وأن لا يعترض على هناته دون
روية؛ فإن ذلك قد يبعث على القطيعة
والهجران^(٤).

وقد أرشد الله عز وجل إلى ذلك، حيث
قال جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿ادْفَعْ
بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَلِلَّهِ الَّذِي يَبْنِيكَ وَيَبْنِي عَدَاوَهُ
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

قال أبو الطيب: «أي ادفع السيئة إذا
جاءتك من المسيء بأحسن ما يمكن
دفعها به من الحسنات، ومنه مقابلة الإساءة
بالإحسان، والذنب بالعفو، والغضب
بالصبر، والإغضاء عن الهفوات، والاحتمال
للمكروهات»^(٥).

قال ابن عباس: أمر الله تعالى بالصبر
عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة،
فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان،
وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم^(٦).

وفي قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الَّذِي يَبْنِيكَ وَيَبْنِي
عَدَاوَهُ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، يقول البغوي:
«يعني إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك

أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه^(١).
ومما يدل على بذله ما جاء في قوله
تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيهَا آلَتُنِي﴾^(١٧) الَّذِي يُؤْتِي
مَالَهُ يَتَزَكَّى^(١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى^(١٩)
إِلَّا أَتَيْنَاهُ بِجِدِّ رِيهِ الْأَعْلَى^(٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى^(٢١)
[الليل: ١٧-٢١].

قال ابن كثير: «وقد ذكر غير واحد من
المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر
الصديق، رضي الله عنه، حتى إن بعضهم
حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا
شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها،
فإن لفظها لفظ العموم ولكنه مقدم الأمة
وسابقتها في جميع هذه الأوصاف وسائر
الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقاً تقياً
كريمًا جوادًا بذلاً لأمواله في طاعة مولاه،
ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودينارين
بذلهما ابتغاء وجه ربه الكريم»^(٢٢).

ومن باب الفائدة، فقد ذكر ابن الجوزي
ثلاث مراتب في بذل المال للصاحب
وإعانتته: أهونها: المساهمة في المال،
وأوسطها المواساة، وأعلىها تقديم الأخ في
المال على النفس^(٢٣).

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٣٤٩/٢، زاد
المسير، ابن الجوزي ٢٦٠/٢، فتح البيان،
القنوجي ٣٠٥/٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢٢/٨.

(٣) انظر: التبصرة، ابن الجوزي ٢٧٧/٢، غاية
المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة،
لحازم خنفر ص ٨٦.

(٤) غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة،
لحازم خنفر ص ٩١.

(٥) فتح البيان، القنوجي ٢٥٢/١٢.

(٦) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٧١/٢١.

آثار الصحبة في الدنيا

إن للصحبة أثرًا عميقًا في شخصية المرء وأخلاقه وسلوكه، والصاحب يكتسب صفات صاحبه بالتأثر والافتداء، فالإنسان اجتماعي بالطبع، ولا بد أن يخالط الناس ويكون له منهم أخلاء وأصدقاء، فإن كانوا أصحاب سوء تأثر بهم وبأخلاقهم السيئة، وإن كانوا أصحاب خير وصلاح تأثر بأخلاقهم الحميدة، وأعمالهم المرضية لله عز وجل، وكانوا له عونًا على طاعة المولى جل علا.

قال عليه الصلاة والسلام: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل) (٣).
وصدق الشاعر حيث قال (٤):

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
وسوف يكون حديثنا في هذا المبحث
عن آثار الصحبة الصالحة والسيئة في الدنيا،
وذلك في النقاط الآتية:

وصار الذي بينك وبينه عداوة، كأنه ولي حميم، كالصديق القريب» (١).
فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين، وإن هجرك وترك خطابك، فطيب له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة (٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٩٤/١٣، رقم ٨٠٢٨، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجلس، ٢٥٩/٤، رقم ٤٨٣٣، والترمذي في سننه، أبواب الزهد، ٥٨٩/٤، رقم ٢٣٧٨.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١/٦٦٤، رقم ٣٥٤٥.

(٤) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ١٧٩/٢.

(١) معالم التنزيل، البغوي ١٣٤/٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٤٩.

أولاً: آثار الصلحة الصالحة:

اعلم أن للأخوة الصالحة أثراً عظيماً في سلوك المؤمن، فإذا أراد الله تعالى بالعبد خيراً قيض له صحبةً من الأخيار، وهياً له من الإخوان من يعينه على صلاح نفسه، فلا يلبث أن يبلغ قدرهم أو يبرز عليهم، ومن آثار تلك الصلحة في الدنيا:

١. الإعانة على طاعة الله وذكره جل وعلا.

فالصلحة الصالحة خير معين على طاعة الله وذكره، قال تعالى: ﴿وَالصَّبْرُ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

قال الطبري: «وقوله: ﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره واجتناب ما نهى عنه فيه، وقوله: ﴿وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على العمل بطاعة الله» (١).

وفي جعل التواصل بالصبر قريباً للتواصل بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه إن الله مع الصابرين، وأيضاً التواصل بالصبر مما يندرج تحت

التواصل بالحق، فإفراده بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على إنافته على خصال الحق، ومزيد شرفه عليها، وارتفاع طبقته عنها (٢)، وكرر الفعل لاختلاف المفعولين (٣).

وعندما بعث الله تعالى موسى عليه السلام بالرسالة، سأل ربه أن يعينه بأخيه، ويقويه به فيما حمله من الرسالة والقيام بها. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ١١ هَرُونَ أَخِي ١٢ أَشَدُّ بِهٖ أَزْرًى ١٣﴾ وَأَشْرِكْ فِي ١٤ أَمْرِ ١٥﴾ [طه: ٢٩-٣٢].

ثم ذكر العلة في ذلك، حيث قال جل وعلا: ﴿فِي شَيْءِكَ كِبِيرًا ١٦ وَتَذَكَّرَكَ كِبِيرًا ١٧﴾ [طه: ٣٣-٣٤].

يقول السعدي: «علم عليه الصلاة والسلام أن مدار العبادات كلها والدين على ذكر الله؛ فسأل الله أن يجعل أخاه معه يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل، وغيره من أنواع العبادات» (٤).

فهذه هي العلة في مشاركة هارون لأخيه في مهمته، لا طلباً لراحة نفسه، وإنما لتضافر جهودهما في طاعة الله، وتسبيحه وذكره (٥).

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٦٠١/٥.

(٣) فتح البيان، القنوجي ٣٧٧/١٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٠٤.

(٥) تفسير الشعراوي ٩٢٦٤/١٥.

(١) جامع البيان، الطبري ٥٩٠/٢٤.

٢. الثبات على الحق في الشدائد.

إن الثبات على الحق، والصبر على المحن والبلاء، يجعل الإنسان في راحة وطمأنينة دائماً، ويشعر بمعية الله جل وعلا، وقد ذكر الله تعالى في محكم التنزيل موقف موسى عليه السلام، مع أصحابه عندما خرجوا، وطاردهم فرعون وجنوده.

قال تعالى واصفاً ذلك الموقف: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ ٦١﴾ **قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢** [الشعراء: ٦١-٦٢].

قال القرطبي: «لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منهم، ورأت بنو إسرائيل العدو القوي والبحر أمامهم ساءت ظنونهم، وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء: ﴿إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾ فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه له بالهداية والظفر ﴿كَلَّا﴾ أي: لم يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ أي: بالنصر على العدو ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي: سيدلني على طريق النجاة»^(١).

فلما عظم البلاء على بني إسرائيل، ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم به بين الله سبحانه له طريق الهداية، فأمره بضرب البحر، وبه نجا بنو إسرائيل، وهلك عدوهم^(٢)، وإسناد المعية إلى الرب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ

رَبِّي﴾ على معنى مصاحبة لطف الله به وعنايته بتقدير أسباب نجاته من عدوه، وذلك أن موسى واثق بأن الله منجيه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَمِرَ بِعِبَادِي لَأُنْشِتَبِعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢].

واقصر موسى على نفسه في قوله: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾؛ لأنهم لم يكونوا عالمين بما ضمن الله له من معية العناية، فإذا علموا ذلك علموا أن هدايته تنفعهم؛ لأنه قائدهم والمرسل لفائدتهم، ووجه اقتضاره على نفسه أيضاً أن طريق نجاتهم بعد أن أدركهم فرعون وجنده لا يحصل إلا بفعل يقطع دابر العدو، وهذا الفعل خارق للعادة فلا يقع إلا على يد الرسول^(٣).

٣. غرس الثقة بالله تعالى.

فالصحة الصالحة تغرس الثقة بالله في النفوس، وقد ذكر الله لنا موقف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عندما كان في الغار، والكفار على بابه، وهو يطمئن صاحبه وهو واثق بنصره تعالى.

قال جل وعلا: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

يقول الطبري: «إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، وذلك

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣٥/١٩.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/١٠٦.

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٤/١١٨.

عمله بالغاً مبلغهم؛ كما دل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله، تنادوا: هلموا إلى حاجتكم)، وفي آخر الحديث: (فيقول الله: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم) (٤).

ثانيًا: آثار الصلحة السيئة:

فمرافقة أهل السوء داء، وتورث الشر والضياع في الدنيا، فالصلحة متى كانت سيئة كانت عاتقة للإنسان عن الخير والطاعات، لما لها من تأثير كبير على الإنسان، ومن تلك الآثار ما يأتي:

١. حب الدنيا والحرص عليها.

فالصلحة السيئة تجعل الإنسان حريصاً على الدنيا منشغلاً عن الآخرة، لذلك أمر الله جل علا بالإعراض عنهم.

قال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْآحْيَاةَ الدُّنْيَا ۚ﴾ (٥) ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، رقم ٦٤٠٨.

أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تحزن)، لأن الله معنا والله ناصرنا، فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا» (١).

فمن كان في طاعة الله، مستعيناً بالله، واثقاً بوعده الله، راجياً ثواب الله، فإن الله معه، ومن كان الله معه فلا خوف عليه (٢).

٤. بركة المجالسة والذكر الحسن.

فمرافقة الصالحين ينال منها الإنسان الثناء والذكر الحسن، ألم تر إلى كلب أصحاب الكهف، فقد ذكر في القرآن الكريم، لأنه سار مع الصالحين، حيث قال جل وعلا: ﴿وَكَلَبَهُمْ بِسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

يقول القرطبي: «إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصلحته، ومخالطته الصالحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جل وعلا، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين» (٣).

فإن من جالسهم تشمله بركة مجالستهم، ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن

(١) جامع البيان، الطبري ٢٥٨/١٤.

(٢) انظر: تيسير اللطيف المنان، السعدي ص ٢٣٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٧١/١٠-٣٧٢.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَا تُرِيدُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: وإنما أكثر همه، ومبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه، ولذلك قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمِ مِنَ الْعَالَمِ﴾ أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه»^(١).

والحياة الدنيا وصفها بالدنيا من الدنو وهو القرب، وذلك لانحطاط مرتبتها، ولسبقها على الآخرة^(٢).

وجملة ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمِ مِنَ الْعَالَمِ﴾ اعتراض وهو استئناف بياني بين به سبب جهلهم بوجود الحياة الآخرة؛ لأنه لغرابته مما يسأل عنه السائل، وفيه تحقير لهم وازدراء بهم بقصور معلوماتهم^(٣).

وقد نبه أبو حامد إلى خطر صحبته، حيث قال: «وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتراء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا، فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا، ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة»^(٤).

٢. الغفلة واتباع الأهواء.

فصحبة الغافلين المتبعين لأهوائهم تعين على الغفلة واتباع الهوى، لذلك نهى الله تعالى عن طاعتهم؛ لأن طاعتهم تدعو إلى الاقتداء بهم، قال جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تُطِيعُوا مَنْ أَغْفَلُوا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

أي: جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا منشغلاً عن الدين وعبادة ربه بالدنيا.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: مراده في طلب الشهوات فلا تكن مطيعاً له ولا محباً لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه^(٥).

٣. الضياع والخسران في الدنيا.

وصحبة الغافلين المتبعين لأهوائهم كذلك تورث الخسارة والضياع في الدنيا، لذلك قال تعالى بعد ما نهى عن طاعتهم: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُمْ قُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن كثير: «﴿وَكَانَ أَمْرُهُمْ قُرْطًا﴾ أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع»^(٦).

ويقول السعدي: «﴿وَكَانَ أَمْرُهُمْ﴾ أي: مصالح دينه ودنياه ﴿قُرْطًا﴾ أي: ضائعة معطلة، فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٤٥٩.

(٢) تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، من سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٢٤.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/ ١١٨.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢/ ١٧٣.

(٥) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٣/ ١٨٩، تفسير

القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ١٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ١٥٤.

إلا لما هو متصف به»^(١).

فهو مهمل مضيع مسرف في كل أحواله^(٢)، ضائعاً تمضي الأيام والليالي، ولا يتفجع بشيء، وفي هذه الآية إشارة إلى أهمية حضور القلب عند ذكر الله، وأن الإنسان الذي يذكر الله بلسانه لا بقلبه تنزع البركة من أعماله وأوقاته، حتى يكون أمره فرطاً عليه، تجده يبقى الساعات الطويلة، ولم يحصل شيئاً، ولكن لو كان أمره مع الله لحصلت له البركة في جميع أعماله^(٣).

٤. الانحراف والضلال.

فالصحة السيئة تصرف الإنسان عن الطاعة إلى المعصية وتزين له فعل المنكرات.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعَشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٣) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

قال الخازن: «نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا» أي نسب له شيطاناً ونضمه إليه ونسلطه عليه ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ

السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ».

يقول الطبري: «وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعيشون عن ذكر الله، عن سبيل الحق، فيزينون لهم الضلالة، ويكرهون إليهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ يقول: ويظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة، أنهم على الحق والصواب»^(٥).

وبنحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿

وَقَفَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ فَكَانُوا خَسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

وتفسير أمور الدنيا في هذا الآية بـ ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ لحضورها عندهم، كالشيء الذي بين يديك تقلبه كيف تشاء، والآخره بـ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، لعدم مشاهدتها، كالشيء الذي خلفك، أو لكونها ستلحق بهم، وقد يعكس فيجعل ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الآخرة؛ لأنها مستقبله ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، الدنيا لمضيها وتركها^(٦).

٥. سوء الذكر.

فمرافقة الصالحين كما ذكرنا ينال منها

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٧٥.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة ٩/٤٥٢٣.

(٣) تفسير القرأ، الكريم، ابن عثيمين، سورة

الكهف ص ٦٢.

(٤) لباب التأويل، الخازن ٤/١٠٩.

(٥) جامع البيان، الطبري ٢١/٦٠٥.

(٦) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي ٨/٣٣٥.

عاقبة الصحبة في الآخرة

تحدثنا في المبحث السابق عن آثار الصحبة في الدنيا، وبيننا أن الصحبة الصالحة تورث الخير والبركة لمن لازم أهل الصلاح، والصحبة السيئة تورث الشر والضياح لمن لازم أهل السوء والفساد، أما في الآخرة فلها عواقبها ونتائجها بحسب ملازمة الشخص. وسوف يكون حديثنا في هذا المبحث عن عواقب تلك الصحبة في الآخرة، وذلك في النقاط الآتية:

أولاً: عاقبة الصحبة الصالحة:

فمن لازم أهل الاستقامة والصلاح في الدنيا كانت العاقبة في الآخرة كالاتي:

١. دوام تلك الصحبة والمودة.

فمن كانت صحبته في الله تعالى، وفي سبيله، فإنها دائمة بدوامه.

قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَتَّبِعُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

والأخلاء: جمع خليل، وهو الصاحب الملازم، قيل: إنه مشتق من التخلل؛ لأنه كالمخلل لصاحبه والممتزج به^(١).

قال السعدي في هذه الآية: ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ للشرك والمعاصي، فإن

الإنسان الشاء والذكر الحسن، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، لذلك ذكر كلب أصحاب الكهف في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّبَهُمْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ذِرَاعِيَهُ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

لأنه جالس الصالحين، أما مرافقة أهل الشر والفساد فليس منها إلا سوء الذكر، لأن صحبتهم تورث الشر وتزينه له بأنه هو الحق والصواب، فبئس الصاحب إذا كان من أهل الفساد وبئس القرين، لذلك ذم الله تعالى صحبتهم في محكم التنزيل، حيث قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٥/ ٢٥٢.

قال المراغي: «يقال لهم تشريقاً لهم وتسكيناً لروعهم مما يرون من الأهوال: يا عباد لا تخافوا من عقابي، فإنني قد أمتكم منه برضاي عنكم، ولا تحزنوا على فراق الدنيا، فإن الذي تقدمون عليه خير لكم مما فارقتموه منها»^(٦).

ويقول السعدي في هذه الآية: «أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولا حزن يصيبكم فيما مضى منها، وإذا انتفى المكروه من كل وجه، ثبت المحبوب المطلوب»^(٧).

فالمحبة الصادقة الصافية في الله تعالى يتج عنها ذهاب الفزع والخوف والحزن يوم القيامة، يقول الشوكاني: «يقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله بهذه المقالة -أي: قوله تعالى: ﴿يَبْعَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتَ تَحْزَنُونَ﴾ - فيذهب عند ذلك خوفهم، ويرتفع حزنهم»^(٨).

وجاء في الحديث الصحيح عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم: (ورجلان تحابا في الله، اجتماعاً عليه وتفرقاً عليه)^(٩).

محبتهم تدوم وتتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله»^(١).

لذلك استثنى المتقين؛ لأن النفع دخل على بعضهم من بعض^(٢).

يقول الشوكاني: «ثم استثنى المتقين فقال: إلا المتقين فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة، لأنهم وجدوا تلك الخلقة التي كانت بينهم من أسباب الخير والثواب، فبقيت خلقتهم على حالها»^(٣).

فكل منهم يعين بعضهم بعضاً على الطاعة، فالواحد منهم يقول لصاحبه: كنت تعينني على الطاعة، كنت توجهني وتذكرني إن غفلت، فيزداد الحب بينهما^(٤)، والآية تدل على حصول الخلقة وثبوتها، وهي محمولة على الخلقة الحاصلة بسبب محبة الله تعالى، لذلك أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم^(٥)، والله أعلم.

٢. النجاة من فزع ذلك اليوم.

يقول الله جل وعلا لعباده المتقين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين على طاعته: ﴿يَبْعَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتَ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨].

(٦) تفسير المراغي ١٠٧/٢٥ - ١٠٨ بتصرف واختصار.

(٧) تفسير الكريمة الرحمن، السعدي ص ٧٦٩.

(٨) فتح القدير، الشوكاني ٤/٦٤٤.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المسجد، رقم ٦٦٠.

(١) تفسير الكريمة الرحمن، السعدي ص ٧٦٩.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٢/٢٦٣.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٤/٦٤٤.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي ٤/٢٢٣٥.

(٥) انظر: فتح البيان، القنوجي ٧/١١٧.

٣. البشرى بدخول الجنة.

يقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله
جل وعلا على سبيل البشرى: ﴿ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾^(١)
[الزخرف: ٧٠].

يقول السعدي في تفسير هذه الآية:
﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ التي هي دار القرار
﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أي: من كان على مثل
عملكم، من كل مقارن لكم، من زوجة،
وولد، وصاحب، وغيرهم ﴿تُحْبَرُونَ﴾
أي: تنعمون وتكرمون، ويأتيكم من فضل
ربكم من الخيرات والسرور والأفراح
واللذات، ما لا تعبر الألسن عن وصفه^(٢).

٤. شفاعة الصاحب.

ورد في محكم التنزيل آيات تدل على أن
المؤمن يشفع لصاحبه يوم القيامة، ومن تلك
الآيات، قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾^(٣)
﴿وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾^(٤) [الشعراء: ١٠٠-١٠١].

قال قتادة في هذه الآية: يعلمون والله أن
الصديق إذا كان صالحاً نفع، وأن الحميم إذا
كان صالحاً شفع^(٥).

ويقول النسفي في تفسير هذه الآية:
﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين ﴿وَلَا
صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾ كما نرى لهم أصدقاء، إذ لا

يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون والحميم
من الاحتمام وهو الاهتمام الذي يهمله ما
يهملك، أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو
الصديق الخاص، وجمع الشافع ووجد
الصديق؛ لكثرة الشفعاء في العادة، وأما
الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمله
ما أهمك فقليل^(٦).

ولفظه (الشفيع) تقتضي رفعة مكانة عند
المشفوع عنده، ولفظة الصديق تقتضي شدة
مساهمة ونصرة، وهو فعيل من صدق الود
من أبنية المبالغة، ونفي الشفعاء والصديق
يحتمل أن يكون نفيًا لوجودهم إذ ذاك، وهم
موجودون للمؤمنين، إذ تشفع الملائكة
وتتصادق المؤمنون، كما قال تعالى:
﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
الْمُتَّقِينَ﴾^(٧) [الزخرف: ٦٧].

وقد ذكر الرازي تفسيراً لهذه الآية في
قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا﴾^(٨) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا﴾^(٩) [الأحزاب: ٦٤-٦٥].

يقول الرازي: «وقوله: ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا﴾ لما ذكر خلودهم بين تحقيقه؛
وذلك؛ لأن المعذب لا يخلصه من العذاب
إلا صديق يشفع له أو ناصر يدفع عنه، ولا
ولي لهم يشفع ولا نصير يدفع»^(١٠).

(٤) مدارك التنزيل، النسفي ٢/ ٥٧١.

(٥) البحر المحيط، أبو حيان ٨/ ١٧٠.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥/ ١٨٥.

(١) انظر: تفسير المراغي ٢٥/ ١٠٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٦٩.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩/ ٣٦٩.

[الزخرف: ٦٧].

قال الشوكاني: «أي: الأخلاء في الدنيا المتحابون فيها يوم تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو، أي: يعادي بعضهم بعضًا، لأنها قد انقطعت بينهم العلائق، واشتغل كل واحد منهم بنفسه، ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها أخلاء أسبابًا للعذاب فصاروا أعداء»^(٢).

وإنما يعادي الخليل خليله يوم القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، وقد ذكرنا ذلك، ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، وهذا كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]»^(٣).

فأخلاء الباطل، وصحبة السوء الذين يجتمعون على معصية الله عليهم أن يحذروا هذا اللقاء^(٤).

٢. الحسرة والندم.

أخبر الله جل علا عن ندم الظالم الذي

وفي ذلك ما حدث به النبي صلى الله عليه وسلم عن المؤمنين بعد اجتيازهم للصراف، فقال: (حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدّ مناشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون! فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته)^(١).

ثانيًا: عاقبة الصحبة السيئة:

ومن لازم أهل الشر والفساد في الدنيا كانت العاقبة في الآخرة كالآتي:

١. العداوة والبغضاء.

فكل صداقة في غير الله تعالى تنقلب يوم القيامة عداوة؛ لأن الصداقة الزائفة، والمحبة المبنية على تحصيل المصالح الدنيوية وجلب المنافع العاجلة، الحب فيها مصطنع مزيف، إذا هبت عليها رياح المصلحة فرقتهما ومزقتها؛ لأنها لم تبني على أساس راسخ ولا أصل ثابت.

قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٦٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٢٣٧.

(٤) تفسير الشعراوي ١٥/ ٩٣٧٢.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم ٣٠٢.

﴿الظَّالِمُ﴾ هو عقبة، و﴿فَلَانَا خَلِيلًا﴾ هو أبي بن خلف^(٢).

والمراد بالظالم كل ظالم يرد ذلك المكان وينزل المنزل، ولا ينفيه ورود الآية على سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٣).

والمقصود كذلك من الآية ذكر هول يوم القيامة بتندم الظالم وتمنيه أنه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظلم، وما من ظالم إلا وله في الغالب خليل خاص به يعبر عنه بفلان، والظاهر أن الظالم يعص على يديه فعل النادم المتفجع^(٤).

وفي هذه الآية تنبيه لكل إنسان على تجنب قرين السوء، يقول الشنقيطي: «وهذه الآية الكريمة تدل على أن قرين السوء قد يدخل قرينه النار، والتحذير من قرين السوء مشهور معروف»^(٥).

٣. التلهف والتأسف على فقد الشفيع.

قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾^(١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ^(١٠١) [الشعراء: ١٠٠-١٠١].

قال ابن عطية: «ثم قالوا ذلك على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعة في أهل

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٨٤/٤.

(٤) البحر المحيط، أبو حيان ١٠١/٨.

(٥) أضواء البيان، للشنقيطي ٤٧/٦.

فارق الحق، وأطاع خليله وقرينه السيء، الذي كان سبباً في هلاكه وبعده عن الحق، وكان كذلك سبباً في حصول الندم والحسرة له يوم القيامة.

يقول جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُلُ يَلَيَّتِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٢٧) يَتَوَلَّى لَيَّتِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانَا خَلِيلًا^(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا^(٢٩)

[الفرقان: ٢٧-٢٩].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ويوم يعص الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ يقول جل ثناؤه مخبراً عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا، من معصية ربه في طاعة خليله: لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن، وهو الذكر، بعد إذ جاءني من عند الله، فصدني عنه، يقول الله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ يقول: مسلماً لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه»^(١).

وذكر ابن عباس سبب نزول هذه الآية: أن أبي بن خلف كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم، فزجره عقبة بن أبي معيط، فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم ذكر في هذه الآية: أن

(١) جامع البيان، الطبري ٢٦٢-٢٦٣.

وأتباعهم في الظلم^(٤).
وقال الواحدي: «قال جماعة المفسرين:
أشباههم وأمثالهم، وأتباعهم ونظراءهم
وضرباءهم، وعلى هذا القول يحمل الذين
ظلموا على القادة والرؤساء وأزواجهم
أتباعهم ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ دلوهم
عليها، أي: اذهبوا بهم إلى الجحيم»^(٥).

وقد أخبر الحق تبارك وتعالى عن
صاحب من أهل الإيمان، وقرين كان شريك
له، وما كان بينهما من الصحبة، وما نتيجة
هذا الصحبة لو أنه أطاع صاحبه وشريكه.

قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لَئِن الْمَصْدِقَ ﴿٥٢﴾ أَوْذَا
مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَلَيْسَ الْمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ آنَسَ
مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتُدِينُ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا رِجْمَةُ رَبِّي لَكُنتَ مِنَ
الْمُخَضَّرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥١-٥٧].

فالمؤمن في هذه الآية لم يطع صاحبه
وصديقه الملازم له، فكان من الفائزين، ولو
صدقه لكان من الهالكين، وقد أقسم هذا
الصاحب المؤمن كما في هذه الآيات على
ذلك ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتُدِينُ﴾.

يقول الشنقيطي: «وقد بين جل وعلا في
هذه الآيات أن رجلاً من أهل الجنة أقسم
بالله أن قرينه كاد يرديه أي يهلكه بعذاب

الإيمان عموماً، وشفاعة الصديق في صديقه
خاصة ﴿فَمَا لَنَا مِن شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، وفي هذه اللفظة منبهة على محل
الصديق من المرء»^(١).

وفي هذه الآية يقول المراغي: «وقد
أرادوا بهذا الإخبار إظهار اللهفة والحسرة
على فقد الشفيع والصديق النافع، وقد نفوا
أولاً أن يكون لهم من ينفعهم في تخليصهم
من العذاب بشفاعته، ثم ترقوا ونفوا أن
يكون لهم من يهمله أمرهم ويشفق عليهم
ويتوجع لهم وإن لم يخلصهم، والخلاصة:
أن الأمر قد بلغ من الهول ما لا يستطيع أحد
أن ينفع فيه أدنى نفع»^(٢).

فأيسوا من كل خير، وأبلسوا بما كسبوا،
وتمنوا العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً^(٣)،
لقلوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَن لَّنا كَرَّةٌ فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء: ١٠٢].

٤. طريق إلى النار.

فكما أن الصحبة الصالحة طريق إلى
الجنة، فالصحبة السيئة طريق إلى النار.

قال تعالى: ﴿نَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ
وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى
صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

قال ابن عباس: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ نظراؤهم

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٢٣٦.

(٢) تفسير المراغي ١٩/ ٧٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٩٤.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١/ ٢٧.

(٥) الوسيط، الواحدي ٣/ ٥٢٣.

النار، ولكن لطف الله به فتداركه برحمته وإنعامه فهداه وأنقذه من النار^(١).
والشاهد من هذه الآية: أن قرين السوء قد يكون سبباً في هلاك صاحبه ودخوله نار جهنم، والعياذ بالله.

موضوعات ذات صلة:

الاتباع، الأخوة، الصحابة، القدوة

(١) أعضاء البيان، للشنقيطي ٤٧/٦ بتصرف يسير.